مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 23 / العدد: 02 / السنة: 2024 ص ص:263-279

أثر المفاهيم اللسانية النصية في قراءة المدونات السردية القديمة

The Impact of Textual Linguistic Concepts in Reading Old Narrative Blogs

بلعباس بن قرعة عبد الوحيد[1] *، أ.د محمد ملياني [2]

[1] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)، belabbas.abdelwahid@edu.univoran1.dz

[2] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)، meliani.mohamed@univ-oran1.dz

مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب

تاريخ الاستلام: 2023/06/14 **تاريخ القبول:** 2024 /06/03 **تاريخ النشر:** 2024/06/30

ملخص: زخر التراث العربي بمدونات سردية كثيرة ومتنوعة، حوت في طياتها معان عميقة، إلا أن هذه المدونات لم تحظ بما تستحقه من دراسة وتحليل من أجل استخراج هذه المعاني العميقة، والوقوف عليها والتعرف بها على مجالات أخرى كالتاريخ والثقافة وغيرها. وإعادة قراءة المدونات السردية القديمة بمفاهيم لسانية حديثة.

وتأتي هذه الدراسة لتشير إلى سبيل من سبل دراسة المدونات السردية بغية الوصول إلى قراءة شاملة وسليمة. وغير مجحفة بتراثنا الكبير، وهذه السبيل هي استثمار مفاهيم لسانيات النص –التي تتسم بالسعة في دراسة النصوص مع توخي الدقة في تحليلها–في قراءة هذه المدونات، وتوصَّلنا بعد هذه الدراسة إلى إمكانية استثمار المفاهيم اللسانية النصية في قراءة السرد العربي، وتم التطبيق على بعض خصائص السرد العربي القديم، بغية معرفة سبب اختصاصها بهذه السمات.

كلمات مفتاحية: السرديات العربية؛ لسانيات النص؛ قراءة التراث؛ المفاهيم النصية؛ خصائص السرد.

Abstract:

The Arab legacy is rich in many and varied narrative blogs, containing deep meanings. However, these blogs did not receive the necessary study and analysis to extract these profound meanings and use them to identify other areas such as history, culture and others. And re-read old narrative blogs with modern tongue concepts.

This study indicates a way of studying narrative codes to reach a comprehensive and true reading, not bad for our great heritage. This is the

*** المؤلف المرسل**

way to invest the concepts of text linguistics - which are broader in the study of texts with accuracy in their analysis - in reading these blogs, and after this study, we have come up with the possibility of investing text linguistic in reading the Arabic narrative. Some features of the old Arabic narrative have been applied to find out why they are competent in these features.

Keywords: Arabic Narratives; Language of text; Reading Heritage; Narrative Characteristics.

1.مقدمة

تعدّ السرديات العربية القديمة في غالبها آداب جمالية، تُعنى بالجانب الجمالي الأدبي للمدونة، وكانت خلال ذلك معالِجةً لبعض الظواهر الاجتماعية، أو باعثة برسائل أخلاقية، أو مرسخة لقيم إنسانية، فكانت مرامي هذه السرديات ظاهرة جلية في عيون المتلقين لها، يجدون متعتها ولذتها في مطالعتها بشكل سهل وبسيط، وسيطرت هذه الفكرة على النقد العربي ردحا من الزمن وبقيت السرديات العربية في خانة ضيقة هي خانة الجمالية، مع ما تحويه من معان جليلة وعميقة.

إلا أن تلك السمات قد تغيرت مع السرديات الحديثة والمعاصرة، فأخذت طريقا آخر وانتهجت نهجا مخالفا لسابقاتها، وذلك بعد تبلور أفكار جديدة وظهور مدارس حديثة تعنى بالرمز والغموض، وتستثمر ما كان لغويا وما كان غير لغوي، فغابت مقاصدها، وضمرت مراميها، وأُبهمت في أذهان القرّاء، كما أنها أضافت إلى أهدافها القديمة أهدافا جديدة، فصارت مسيَّسة مدافعة عن أفكار سياسية، أو توجهات اقتصادية أو متدخلة في نزاعات إقليمية، أو ناصرة لإيديولوجيات مختلفة، بل ومواكبة لأحداث دولية وتغيرات عالمية. فأدى هذا التحول إلى قيام المقتضي لإعادة قراءة السرديات القديمة بغية، التنقيب فيها عن إرهاصات هذه التحولات التي مست هذا الجنس الأدبي، وكذا الكشف عن دلالات أخرى غطتها فكرة كون السرد العربي القديم مجرد أدب جمالي محض.

لما كانت اللسانيات النصية العلم الجديد الذي يعنى بدراسة النصوص ككل، والكشف عن معانيها ودلالاتها باستعمال جميع ما له علاقة بالنصوص واستثمارها في الدراسة، لاسيما وضع النص في سياقاته وربطه بملقيه وثقافاته، ناسب أن تُدْرَس المدونات السردية العربية وفق مبادئها ومفاهيمها وإجراءاتها، فكيف يمكن توظيف المفاهيم اللسانية في قراءة المدونات السردية العربية القديمة؟

وتهدف هذه الدراسة للوصول إلى مقاربة وتحليل أمثل للمدونات، وفهم كثير من السمات التي لازمتها والميزات التي ميزتها في بنيتها ومعانيها، وكذا رفع الغطاء عن تلك المكنونات التي تعد إرهاصات أو نقاط تقاطع بين السرد العربي القديم ونظيرة الحديث، مما يغير النظرة المجحفة إلى جزء من التراث العربي الزاخر، ورد شيء من الاعتبار المستحق له. وتقوم هذه الدراسة على ثلاثة محاور: الأول في مفاهيم لسانية نصية، والثاني: حول السرديات العربية القديمة ومميزاتها، والثالث حول استثمار لسانيات النص في قراءة المدونات السردية العربية وعوائد هذه الدراسة على التراث العربي.

2.المحور الأول: مفاهيم لسانية نصية

اقتصرت الدراسات اللغوية القديمة، والحديثة في أوائل نشأتها على الجملة، ووقفت عند حدودها في البحث، وذلك بناء على فكرة سادت قديما ألا وهي كون النصوص مجموعة من الجمل، فدراسة الجملة تغني عن دراسة النص ككل، لكن وبعد تقدم الأبحاث اللسانية تغيرت هذه الفكرة، بعد أن تقرر عند الباحثين أن النص وحدة مستقلة أكبر من الجملة وليس مجموعة من الجمل فحسب، ومما حدى بالعلماء إلى تجاوز لسانيات الجملة: قصورها عن إعطاء نتائج دقيقة على صعيد ترجمة النصوص من لغة إلى لغة أخرى، وكذا عدم قدرتها على تحديد نمط النص، واستنباط البنية الكبرى والبنية العليا للنصوص، وغيرها من المباحث التي تخرج عن نطاق الجملة وحدودها.

إذا فلسانيات النص " فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد" (**الفقي 2000، ص36**) وهذا الانتظام داخل النص لا يمكن استيعابه في نطاق الجملة الضيق، فلزم الخروج إلى سعة النص ورحابته.

ويعرف جميل حمداوي لسانيات النص موضحا سعتها في التناول قائلا :" يُقصد بلسانيات النص ذلك الاتجاه اللغوي الذي يُعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجاما، ويهتم بكيفية بناء النص وتركيبه، بمعنى أن لسانيات نص تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في بناء النص وتأويله، أضف إلى ذلك أن هذه اللسانيات تتجاوز الجملة إلى دراسة النص والخطاب... ولا تهتم بالجملة منعزلة بل تهتم بالنص باعتباره مجموعة من الجمل المترابطة ظاهريا وضمنيا" (**حمداوي**

2015، ص17)، فلسانيات النص تهتم بكيفية نشأة النصوص كما تهتم بدلالاتها الجزئية والكلية وبكل ماله دخل في معرفة هذين الأمرين.

وللوصول إلى هدف اللسانيات النصة والذي هو التحليل المتكامل للنصوص قام العلماء بدراسة (النصية) وهي ما يجعل النص نصا، فلا وجود للنص في غياب النصية، بل يتحول النص إلى كومة من الجمل المتفككة والتي لا ترابط ولا علاقات بينها، فلا يمكن تحقيق التواصل إلا في حضورها، وجعل العلماء النصية مكوَّنة من أمور متعددة، وجاءت عدة اقتراحات في هذا الصدد، كل مقترح يصف النصية بحسب ما يراه، ولعل من أشهر المقترحات مقترح دي بوجراند التي اشتمل على عناصر متعددة منها المعايير النصية السبعة، وتكون دراسة النصية باستخراج هذه المعايير وتحديدها ودراستها.

ويقرر أحمد عفيفي أن الدراسة النصية تكمن في دراسة المعايير، فقال عند كلامه عن مفهوم لسانيات النص:" إذن علم للغة النصي فيما نرى هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء" (**الفقي 2000، ص36**) وهذه المذكورات من المعايير النصية التي لا تتأتى الدراسة النصية إلا بها.

وتعددت المقترحات في المعايير النصية واختلفت وتباينت نذكر منها" قواعد النصية عند جون ميشال آدام ودي بوجراند، وقواعد شارورل الأربعة، وما ذهب إليه براون ويول، وشروط سورل، ومبادئ كرايس، وكلهم يضعون القوانين ليقاس على ضوئها الخطاب نجاحا وفشلا" (**مداس 2009، ص76**)، ومع اختلافهم في هذه الاجراءات، إلا أنهم متفقون على أن النصية لابد أن تدرس وفق خطوات إجرائية متعددة، وأن النصية متكونه منها.

وأما أشهر مقترح من هذه المقترحات فهي المعايير السبعة التي جاء بها دي بوجراند ووافقه عليها ديسلر، وتتأتى شهرتها ومقبوليتها من سهولتها وبساطتها من جهة، ولشموليتها لما يحيط بالنص من جهة أخرى، وهذه المعايير هي السبك، والحبك، والقصدية، والقبول(المقبولية)، والإخبارية(الإعلامية)، والمقامية (رعاية الموقف)، والتناص، قال دي بوجراند:" وأنا أقترح المعايير

التالية لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها" (**دي بوجراند 1998، ص103**)وقام بتعداد تلك المعايير، ثم قام بشرحها وتوضيحها.

وأما عن هدف لسانيات النص فإنه يتلخص في الوصول إلى الدلالات المرادة من إنشاء النصوص وتوحيدها ورفع الاحتمالات الدلالية الممكنة، وبالتالي رفع الاختلاف في الفهم والدراسة وتحصيل المعاني" وذلك من خلال الصلة الواجب توفرها بين هذه الجمل التي تمثل الدلالات الجزئية للنص، إذن تتضح أهمية هذا الموضوع في عرض الوسائل التي يمكن من خلالها إدراك دلالة النص الكاملة لا الجملة المفردة " (**الفقي 2000، ص15**) فهدفها مكون من أصلين هما: تحليل النص كاملا للوصول إلى الدلالات الحقيقية وكذا دراسة النصوص من حيث نشأتها.

ويبين نعمان بوقرة هذا خلال كلامه عن ربط لسانيات النص باللغة قائلا:" إن المعنى يجعل اللغة لغة وليست جوانب اللغة كلها إلا جوانب المعنى وتكون اللسانيات نتيجة لذلك دراسة معنى اللغة، ولما كان النص عملية استنساخ جزئي لبعض النظام اللغوي فإن الغاية من التحليل النصي هي الوقوف على المعنى، كما أن دراسة الوظائف الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ما هي إلا دراسة لجوانب الدلالة العامة" (**بوقرة 2016، ص61**) فالوقوف على المعاني والدلالات هو مبتغى اللسانيات النصية، وهذا لكونها جزءا من النظام اللغوي، والذي وضع أصلا من أجل تحقيق التواصل.

وهذا ما يؤكد عليه هاليداي ورقية حسن أي أن هدف لسانيات النص هو الوصول إلى المعاني وفهم دلالات النصوص، قال صبحي إبراهيم الفقي:" ولأهمية نظرة النصية وجدنا هاليداي ورقية حسن يؤكدان أن فهم اللغة يكمن في دراسة النصوص" (**الفقي 2000، ص40**)، فهذا هو أسمى أهداف اللسانيات النصية، مما تطلب منها سعة آلياتها وتعددها واستفادتها من علوم متعددة مما أضفى عليها صبغة البينية العلمية.

ويقول جميل حمداوي مبينا بينية اللسانيات النصية:" وعليه فمنهجية لسانيات النص هي منهجية لسانية ونحوية محضة، لكن يمكن لها أن تستعير أدواتها ومفاهيمها الإجرائية في إطار الانفتاح العلمي من علوم أخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع والبيولوجيا والفيزياء والكيمياء والطب والاعلاميات والسميوطيقا والفلسفة والرياضيات والمنطق" (**حمداوي 2015، ص64**) ومأخذ ذلك

أن اللغة ظاهرة اجتماعية تمارسها كل طبقات المجتمع لأهداف متنوعة، كما أن كل العلوم على اختلافها تستعمل اللغة وتهتم بها بشكل ما، وبالتالي فإن إدراك معاني اللغة المستعملة يحتاج إلى علم ذو لآليات واسعة سعة انتشار اللغة وتعدد ميادين استعمالها.

3.المحور الثاني: السرد العربي القديم

عرف التراث العربي نشأة لكثير من الفنون الأدبية المتنوعة وعرفت أنواع منها ازدهارا وتطورا كبيرا، وذلك من توابع ازدهار الحضارة العربية ورقيها، ومن هذه الفنون فن السرد، هذا الفن العربي الذي تندرج تحته عدّة "أنواع وأنماط سردية مختلفة مثل الأخبار والنوادر والحكايات والأمثال والمسامرات وأنواع القصص المتقدمة والتي منها المقامات وقصص الحيوانات والقصص الخيالية والشعبية والرحلات والسير وغيرها"(**زينب علي 2019، ص543**)مثل القصص الدينية وأيام العرب والمنامات وكل ما يضم في طياته الصبغة السردية من النصوص الأدبية.

1.3.تعريف السردي العربي

إن الجذر (س ر د) يدل على معنى التداخل والترابط، قال ابن فارس" سرد السين والراء والدال أصل مطرد منقاس وهو يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض، ومن ذلك السرد اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الحِلَق قال الله جل جلاله في شأن داوود عليه السلام: (وَقَدِّرِ فِي السَّرْدِ) قالوا معناها ليكن ذلك مقدرا" (**ابن فارس 1979، ج3، ص157**)فمعناه اللغوي يدل على الجمع والضم، وقال الزجاج:" السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء حتى يتسق بعضه إلى إثر بعض متتابعا"(**الأزهري 2001، ج12،ص249**)وهذا ما يحيل إلى معنى السرد في الأدبي القائم على متابعة ذكر الأحداث وتواليها في النص.

وأما معناه الاصطلاحي فنجد:" السرد قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء كان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال، وقد تكتشف دلالة السرد المعجمية والاصطلاحية كونه الأداة الإنسانية الفاعلة في عملية بناء النص، فهو أداة لنسيج العلاقات بين العناصر الفنية التي يقوم عليها النص القصصي" (**خلف الله 26-02-2016**)، فكل سرد للأحداث وتتابع لها وفق نمط معين في قالب أدبي معدودٌ من السرد العربي، وإن كان منسوبا إلى حقبة زمنية قديمة من حقب التاريخ العربي القديم فهو السرد العربي القديم.

ومما اتسم به السرد العربي القديم العمق في المرامي والمعاني "وتنطوي هذه المادة السردية المنثورة في المدونات القديمة على مضامين معرفية غنية بالتجارب والقصص والحكايات، فهي ليست مادة إمتاع وتسلية ومؤانسة وإنما خطابات تتضمن مواقف ومفاهيم وتصورات تكشف عن أبنية الوعي العربي وأنظمته العميقة" (**سرحان 2008، ص14**)وهذا ما يستدعي قراءتها قراءة تليق بهذه المكنونات والمضامين العميقة بغية تحليلها والوقوف عليها.

2.3. مفهوم السرديات

السرديات هو علم يدرس السرد، فالزائدة (ا.ت) هي زائدة العلمية، مثل اللسانيات والصوتيات والرياضيات وغيرها، ويسمى في الغرب) (narratology يقول ضياء الكعبي عن مصطلح السرديات:" يقصد بهذا المصطلح دراسة القصص العربي القديم واستنباط الأسس التي يقوم عليها وما يتعلق بذلك من أساليب تحكم إنتاجه وتلقيه أي إننا نبحث في مكونات البنية السردية للموروث القصصي من راوي ومروي ومروي له، إلى جانب دراسة الخطاب السردي أسلوبا وبناء ودلالة" (**الكعبي 2005، ص20**)فهو علم يدرس السرد العربي ويبحث في أسسه ومقوماته وبنيته.

والسرديات بصفتها علما يدرس المدونات السردية، وبالنظر إلى عمق دلالات هذه المدونات، لابد من استمدادات من مفاهيم لسانية لتقوم هذه الدراسة بتبني "قوانين تحليل الخطاب التي تتعامل مع النصوص بوصفها بنى لسانية تحيل إلى مرجعيات دينية، وأسطورية، وثقافية، ووجودية، لتكشف من خلال ذلك كله عن مساحة المعنى ومحمولاته الدلالية" (**سرحان 2008، ص16**)هذا كله لتحقيق هدف أسمى هو القراءة الصحيحة والشاملة للمدونات السردية القديمة.

ويبين ضياء الكعبي فوائد هذا العلم وأهدافه قائلا:" ويعد هذا المصطلح مفهوما جامعا يتخذ بعد الجنس ويندمج في إطاره التجليات السردية مثل الأخبار والأسمار والحكايات والقصص وغيرها التي تمثل النوع، ونستطيع بعد تحديد هذه الأنواع أن نرفض التحولات الطارئة على بنيتها وصيغتها للوصول إلى كتابة تأريخ للأنواع السردية القديمة، ويحاول هذا المصطلح الحديث في المشهد النقدي العربي إبراز الفوارق النوعية بين فنون النثر العربي القديم الذي يشمل ما هو سردي كالقصة والحكاية والمقامة والسيرة الفنية، وما هو غير سردي كالخطابة والرسائل غير الفنية" (**الكعبي 2005،**

ص20–21)فله أهمية كبيرة في قراءة التراث العربي واستخراج المعاني والدلالات من هذه المدونات والتي تمس المدونات في ذاتها كما تمس الجوانب الخارجة عنها مثل الثقافة والتاريخ العام والأدبي.

ويُلاحَظ في الساحة النقدية العربية تعدّد الترجمات والمصطلحات العربية للمقابل الغربي (narratology):" فقد ترجمها بعضهم بعلم (السرد) و(السرديات) و(السردية) و(نظرية القصة) و(القصصية) و(المسردية) و(القصّيّات) و(السردولوجية) و(الناراتولوجيا) ، وفيما يتصل بالموروث السردي فإننا نجد بعض التسميات المقترحة مثل (السردية العربية) و(الموروث الحكائي العربي) و(التراث القصصي) و(الأدب القصصي) و(السرد العربي القديم)" (**الكعبي 2005، ص33**)وغيرها من المصطلحات التي تتعدد في مبناها وتتفق في معناها، شأنه شأن كثير من المصطلحات الغربية التي دخلت الساحة العلمية والفكرية العربية.

3.3.أنواع السرد العربي القديم

كثرت أنواع السرد العربي وتعددت أصنافها، إلا أن أكبر هذه الأنواع وأجلاها وأكثرها مدونات أنواع ثلاثة هي: القصة العجائبية، والمقامات، والسير الشعبية، يقول ضياء الكعبي:" تشكلت في السرد العربي القديم ثالثة أنواع سردية كبرى هي القصة العجائبية والمقامات والسير الشعبية، وتحديد إطار البحث لهذه الأنواع السردية الكبرى سيمكننا من رصد التفاعل النصي القائم بينها وبين متون سردية عربية قديمة مثل المصادر الدينية والفقهية والكتب الجغرافية والرحلات والتاريخ والكونيات وغيرها" (**الكعبي 2005، ص29**) فدراسة هذه الأنواع الثلاثة يعطي نظرة عامة وشاملة على السرد العربي القديم وتفاعلاته وتداخلاته مع باقي المدونات والأجناس الأدبية.

1.3.3.القصة العجائبية

وهي القصة التي تحوي أحداثا عجيبة خارجة عن نطاق المألوف والمعتاد "ويعد تصور تودوروف لجنس العجائب واحدا من أدق التعريفات لضبط حدود هذا المصطلح إجرائيا وقد عرَّف تودوروف العجائبي بأنه:" التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير قوانين الطبيعية فيما هو يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر" (**الكعبي 2005، ص26**)أي أنه سرد فيه ذكر لأحداث لا تتوافق وقوانين الطبيعة الفيزيائية مما يُحدث في النفس شيئا من الدهشة والإحساس بالغرابة ويشد القارئ إليه.

ويحدد تودوروف شروطا ثلاثة للأدب العجائبي هي:" أولا أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كعالم أشخاص أحياء، وعلى تردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق طبيعي للأحداث المروية، ثم قد يكون هذا التردد محسوسا بالتساوي من طرف شخصية على أن يكون دور القارئ مفوضا إلى شخصية، وفي نفس الوقت يوجب التعدد متمثلا... وأخيرا ينبغي أن يختار القارئ موقفا معينا تجاه النص: إنه سيرفض التأويل الأليغوري مثل التأويل (الشعري)" (**تودوروف 1993، ص54**)ويجعل تودوروف الشرطان الأول والثاني أساسيين وأما الشرط الثالث فثانوي ومكمل في نظره.

ويحدد الباحثون الفرق بين نوعين من نفس الجنس هما العجيب الغريب" فإذا قرر القارئ أن قوانين الواقع تظل سليمة وتسمح بتفسير الظواهر الموصوفة نكون أمام جنس الغريب، أما إذا قرر أنه ينبغي قبول القوانين جديدة للواقع والطبيعة يمكن تفسير الظواهر بها فإننا نكون أمام جنس العجيب، وفي الثقافة العربية الإسلامية عرفت مصطلحات (العجيب) و(الغريب) انفتاحا على حقول دلالية معرفية متعددة"(**الكعبي 2005، ص27**)ووجدت أنواع أدبية كثيرة مثل الأساطير والسير وحكايات الحيوانات وغيرها.

2.3.3المقامات

هو فن أدبي نشأ في البيئة العربية يقوم على القص بأسلوب راق ومسجوع، فهو فن بين الشعر والنثر وتعرَّف المقامات بأنها" بنية سردية مستحدثة تتخذ الخبر إطارا لها ولكنها لا تخرج عن بنية الخبر التقليدية" (**الكعبي 2005، ص115**)مع الاهتمام بالبلاغة والبيان واعتماد الكلام المسجوع بكثرة، ومؤسسها على أشهر الأقوال هو بديع الزمان الهمذاني (ت398)، إذ لم تصلنا مقامات ممن كان قبله وإن نسبت إلى بعض من كان قبله مثل الخوارزمي مقاماتٌ، لكنها لم تصلنا، ثم اقتدى الأدباء بمنوال الهمذاني في هذا الفن المبتكر وتعددت المدونات فيه، مع اختلافات يسيرة قد تطرأ على اللاحق منها لا تخرجها عن كونها مقالة.

وهذا ما جعل المقامة نوعا أدبيا منفتحا غير منغلق على نفسه" فقد استجابت المقامة منذ نشأتها وتطورها في عصور مختلفة لتفاعل نصي كون ما يمكن أن نسميه القانون الأدبي أو الثقافي الذي يشكل ركيزة أساسية في علاقة المبدع بالمتلقي، وقد شكل التفاعل النصي في المقامات انفتاحا

على أجناس وأنواع سردية وشعرية، لعل من أهمها الخبر والشعر والرحلة والرسالة والمناظرة والوصية والمأدبة والألغاز والأحاجي اللغوية إلى جانب القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأمثال" (**الكعبي 2005، ص136**)فكلها تتقاطع في كونها مؤثرة في هذا الفني المبتكر.

3.3.3.السيرة الشعبية

كانت دلالة لفظة (السيرة) مقترنة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم توسعت في عهد الخلفاء والدولة الأموية لتشمل السيرة الأعيان من الخلفاء وأولها (سير معاوية وبني أمية) لعوانة بن الحكم (ت147هـ)، وكثرت المدونات في هذين الموضوعين وطال التأليف فيها حتى بلغت أجزاء الكتاب الواحد منها العشرات، وكان لهذين الموضوعين الأثر البالغ والمباشر لنشأة السير الشعبية، إذ بان التأثر فيها بهما، ونسجت على منوالها اللغوي كثير من السير، وظهر التفاعل والتناص بين السيرة الشعبية وعدة أنواع أدبية أخرى نذكر منها: أيام العرب والحكايات العجيبة وكذا الحكايات الشعبية، ومع وجود فروق لا تُنكر بينها وبين السيرة الشعبية إلا أن هناك نقاط تقاطع كثيرة بينها تجعلها متجلية فيها وملهمة لها.

4.3. خصائص السردي العربي القديم

اتَّسم السرد العربي القديم بعدة خصائص جعلته ينماز في بنيته ودلالاته ومحتوياته عن السرد غير العربي وعن السرد العربي الحديث والمعاصر، ويجدر التنبيه إلى أن هذه الخصائص غير مضطردة في كل المدونات السردية ولا حتمية الحضور فيها كلّها، لكن حضورها وتجلياتها متفاوتة من مدونة لأخرى ومن موضوع لآخر ومن زمن لزمن آخر ومن هذه الخصائص ما يلي:

1.4.3السبب التأليف

ويسمى أيضا بالطلب، وهو ذكره سبب نسج هذه المدونة وكتابتها وقد يكون هذا الطلب" طلبا حقيقيا أم متخيلا وهذا الطلب عادة ما يصرح به المؤلفون في مستهل مصنفاتهم وكأنهم بذلك يبحثون عن عذر أو مسوغ للكتابة" (**لولو 2019، ص337**)، وقد كان هذا السبب مطردا في كثير من المؤلفات غير السردية فنجد المصنِّف يذكر سبب كتابة كتابه والدافعَ الذي دفعه إلى التدوين، لاسيما في المؤلفات التي لها علاقة بمجال اللغة والأدب، فذِكر هذا السبب علامة على قِدَم المدونة عموما والسردية خصوصا.

ويمكن تقسيم هذه الخاصية إلى قسمين: طلب داخلي وطلب خارجي، فالداخلي يكون" ضمن بنية النص السردية عكس الطلب الخارجي الذي يكون قبل الشروع في عملية التأليف والكتابة" (**لولو 2019، ص338**)، فكلاهما سبب للتأليف لكن الاختلاف في مكان أو زمان ذكر السبب.

والغرض من ذكر سبب التأليف أو الطلب" التواضع أو الحذر أو الرغبة في الإعلاء من شأن الكتاب ومنحه سمة الضرورة واللزوم، كما يعطي الطلب سمة المصداقية للكتاب فيجعله أكثر جاذبيه للقراء والمتلقين" (**لولو 2019، ص337**) إذ ذكر السبب –لا سيما إذا كان سببا ذا شأن– دافع إلى تلقي المدونة وقبولها والاهتمام بها لدى المتلقي.

2.4.3.الإسناد

وهو خاصية من خصائص السرد العربي القديم وهو أن يستهل السارد وسرده بسلسلة رواة قد تطول أحيانا وتقصر في أغلب الأحيان، فتتكون من راو أو راويين، قال عبد الفتاح كليتو" السرد يحتاج إلى الإعلان عن نفسه بصيغة من الصيغ تكون بالنسبة إلى الحكاية كالاطار بالنسبة إلى اللوحة، وهكذا فإن عبارة (زعموا أن) تعلن للمتلقي أن السرد قد بدأ وتحدد نوعه، قل الشيء نفسه في عبارة (بلغني أنه) التي تفتح بها شهرزاد حكاياتها... يمكن أن نستخلص من هذه الأمثلة أن السرد الكلاسيكي والشعبي يحرص على احترام افتتاحية معينة تتكرر بصفة ملحوظة" (ع. **كيليطو 1998، ص36**) وذلك لخصوصيةٍ ودوافعَ ما تحفّ بالسارد حالة كتابته مدونته أو قبلها.

ويبقى الإسناد" بنية ثابتة في السرد العربي القديم إذ تُستهل أغلب النصوص السردية التراثية بمقدمة إسنادية تبقى ثابتة طيلة المسار السردي، وقد تختلف من نص إلى آخر من حيث الصيغة اللغوية لكنها لا تختلف من حيث الدلالة أو الغاية" (**لولو 2019، ص339**)فهي تدل على نص الحكاية ورفعها إلى غيره وإسنادها إليه، سواء أكان هذا المسنَد إليه حقيقيا أم افتراضيا.

3.4.3. الإطار العام

ويسمى أيضا بالتضمين الحكائي وهو" آلية تخضع لها كثير من النصوص السردية تتولد عنها حكايات أخرى فرعية تتكون ضمن هذا الإطار وتتفرع هذه القصص إلى عشرات أخرى غيرها بصورة عنقود من الحكايات القصيرة التي يغذيها ذلك الإطار" (**لولو 2019، ص342**)فمثلا

حكايات ألف ليلة وليلة كلها تندرج تحت إطار عام هو ما دار بين شهرزاد والملك شهريار، ومثلها قصص كليلة ودمنة إنما تندرج جميعها فيما جرى بين بيدبا ودبشليم.

4.4.3. العجائبية

وهي سمة ظهرت في كثير من المدونات السردية القديمة والعجائبي" أدب يمكن وصفه بأنه تشكل لما فوق الطبيعي في إطار المحكي الواقعي أو هو ظهور أحداث غير مفسرة يمكن فهمها وتقبلها من الناحية النظرية ضمن محتوى معلوم للقارئ، شبيه بالعجيب لكنه مختلف عنه فهو بين الخيالي والواقعي" (**قفصي 1442، ص435**)فهو يحدث ما يحدث من شدّ المتلقي لمتابعة السرد والاهتمام به.

ويعرّفه شعيب خليفي بأنه" بناء لغوي ولقاء بين المألوف واللامألوف بين أدوات طبيعية وأخرى فوق طبيعية غيبية لإيجاد حالة من الزج بالواقع بكل وضوحه الكاذب وأوهامه المغلقة في المأزق" (**خليفي، بنيات العجائبي في الرواية العربية 1997، ص118–119**)فهو يثير متلقي ويشد انتباهه بهذه الآلية التي تكون بين الواقع والمتخيل.

4.المحور الثالث: أثر النظرة النصية في قراءة المدونات السردية القديمة

تعددت مجالات الدراسة في لسانيات النص لتشمل كل مجال له علاقة باللغة، وذلك لملاءمة مفاهيمها لهذه الشمولية، ومن هذه المجالات ميدان النقد وقراءة المدونات السردية الذي صار له علاقة بلسانيات النص، ويوضح هيثم سرحان هذه العلاقة قائلا:" فاشرأبّ من نحو الجملة إلى تأسيس نحو النص، وطمح إلى أن يقدم بديلا لسانيا لنقد الأدب، بل اتخذ من الخطاب بتجلياته المتنوعة...مادة للوصف والتفسير يفتش عن أسرار بنيته وتماسكه ووسائل اتساقه وانسجامه، يتجاوز في ذلك الروابط المتعارفة (دون أن يغفلها) إلى الروابط المستكنَّة، المدلول عليها بمواضعات الخبرة المشتركة ودوال السياق التخاطبي بأبعاده جميعا" (**سرحان 2008، ص10**)، فتوسعت لسانيات النص بمفاهيمها الشاملة محاولة تطوير النقد وقراءة المدونات السردية بشكل جديد بغية استخلاص المعاني المتعددة المخبوءة في هذه المدونات.

ومما اتسمت به التحليلات النصية للنصوص الشمولية والسعة في دراستها، مما جعلها تخلص إلى نتائج مَرْضية في تفسير النصوص واستخلاص دلالاتها، ومثل هذا العلم إذا تم استثماره في المدونات السردية ودراستها فإنه كفيل باستخراج كثير من الدلالات والمعاني، كما أنه يمكِّن من

تفسير كثير من الخصائص والمميزات التي اتصف بها السرد العربي القديم وإعطاء مبررات مقنعة لها، وبالتالي يمكن فهم تطوّر هذه الخصائص واختلاف تجلياتها عبر الأزمنة والأمكنة، ومن هذه الخصائص التي يمكن للسانيات النصية تفسرها ما يلي:

1.4. موقع السرد العربي القديم من الفنون الأدبية الأخرى

لم يكن للعرب اهتمام كبير بالسرد وكان جل اهتمامهم بالشعر وفنونه ولم يظهر هذا الفن الا بشكل محتشم وخجول مع إعراض السواد الأعظم عنه، وكثرت التأويلات والتفسيرات لهذا الرفض للسرد، وباستحضار إجراءات نصية، مثل معيار السياق، والمقبولية، وكذا معيار التناص، وإعمال كل ما له علاقة بمجال الدراسة يمكن أن نجد تأويلا واقعيا، وتبريرا منطقيا لهذه الظاهرة.

فبالنظر إلى الثقافة العربية الإسلامية نجد أنه جاء عن علماء المسلمين ذم القصص والقُصّاص وذلك مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم" إن بني إسرائيل لما هلكوا قصوا" قال ناصر الدين الألباني" إن سبب هلاكهم اهتمام وعاظهم بالقصص والحكايات دون الفقه والعلم النافع الذي يُعرِّف الناس بدينهم فيحملهم ذلك على العمل، لما فعلوا ذلك هلكوا " (**الألباني 1995، ج4،ص246**) فهذا أحد وجوه ذم القصص عند المسلمين إذ سبب الهلاك لا يكون إلا مذموما منبوذا.

وجاء ذم القص لسبب آخر ألا وهو حال الكفار في التراث العربي، إذ لم يكن القاص أديبا ولا عالما في أغلب الأحيان وإنما تلبسوا بصفات ذميمة لعل أشنعها وضع الأحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لإعطاء قصصهم صبغة شرعية ودينية كي يقبلها الناس وتروج بينهم، وهذا ما جعلهم وما يُنشِئون من قصص وسرد محل ذم وتشنيع، فذكر ابن الجوزي أنواع من وقع في حديثهم الوضع فقال:" ومنهم القصاص بأنهم يريدون أحاديث ترقّق وتنفق" (**القاري 1398، ص37**) أي تروج ويقبلها الناس.

كما أن من أسباب انحصار الفن السردي عند المسلمين كون القصص كانت معارضة للقرآن الكريم أثناء تنزيله بغية الوصول إلى تكذيبه وذلك بوصف المشركين إياه أنه حكايات عن الأمم السابقة مما لا يكون ذا فائدة ولا حقيقة، قال الله تعالى:" وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا" (**سورة الفرقان الآية5**)فلا غرابة أن يُعرض المسلمون عما طُعِن في القرآن به.

2.4. خاصية الإسناد

وجود الإسناد خاصية من خواص السرد العربي القديم ليس وجودا عبثيا، بل وجوده كان ضروريا وأكيدا في تلك الحقبة من الزمن وتتضح هذه الضرورة إذا أعملنا الآليات النصية، خاصة منها معيار السياق بأنواعه، ومعيار التناص بنوعيه العام والداخلي، وبإدراج المركب التداولي أيضا لكن من وجهة نظر اللسانيات النصية، كل ذلك في دراسة المدونات السردية القديمة ليتضح من خلال هذه القراءة الواسعة ما يلي:

• كان السرد مقدما إلى سلطة عليا في غالبه لا مقدما إلى عامة الناس فمن المهم أن يكون هذا المقدم ذا صفات تليق بذلك المقام.

• في الإسناد إظهار لخُلُقِ الصدق وهو خلق عربي أصيل زاده الإسلام تأكيدا وتشريفا، فالمسند كلامه يَخرج في الأصل من تبعات الصدق أو الكذب.

• في السند تأس بأشرف كلام بشري الذي هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا التقليد والتأسي نابع عن اعتزاز بهذا الصرح الشامخ (علم مصطلح الحديث)، وكذا نابع عن محبةٍ لهذا العلم، وهذا الاعتزاز والمحبة يشترك فيها السارد والمتلقي، فكما أن السارد يجعل السند في سرده لهذين الاعتبارين فكذلك المتلقي يزداد تلقيه وشغفه بالمدونة إذا وجد فيه مثل هذه الخصائص والإضافات.

• وفي ذكر السند إبعاد للتبعات التي قد تكون في حالة فهم المدونة على غير مراد صاحبها، أو مما عناه منها وأراده بها ولكن بشكل خفي وسري مما قد يعرضه لمتاعب لو عُلِمت هذه المقاصد واكتشف قصده ومراده، وفي هذا تأكيد على السلطة المفروضة على الأديب في كثير من الأحيان، مما يظهر مدى تحكم العرب في زمام الأمور وفرضهم السيطرة على كافة المجالات منعا للانفلات في أي جانب من الجوانب، لاسيما الجوانب الفكرية والعقدية.

• وفي ذكر السند إلهام بالواقعية والتي هي مطلب عند العرب والمسلمين الرافضين للكذب واللامعقول واللاواقعي، وهذا الرفض ملازم لكل حضارة عبر التاريخ فلما كان للعرب حضارة كانت الأمور الخيالية منبوذة عندهم غير محببة، وتراها في الواجهة إذا أشرفت الأمم على الانحطاط، في تجل أدبي للهروب من الواقع غير مرغوب فيه.

3.4. الإطار العام

في وجود الإطار العام للسرد العربي القديم كخاصية من خواصه تذكير وإشارة إلى مفهوم نصي مقارب له هو البنية الكبرى، يقول إبراهيم الفقي موضحا لها:" يلاحظ أن هناك في كل نص في الغالب أمرا جوهريا يظهر مضمونه في أرجاء النص كلها، وكذلك توجد عناصر مهمة في كل نص يستطيع القارئ أن يحددها تبعا لمعارفه واهتماماته، هذا الأمر الجوهري أو العناصر المهمة تسمى البنية الكبرى وتعرف بأنها التركيب المقدر الذي يفسر أو يعلل تنظيم النص أو الخطاب" (**الفقي 2000، ص34**) فهي رباط معنوي يضم في طياته كل جزئيات النص وينظمها في سلك واحد، فهي بمثابة العمود الفقري المعنوي للنص.

فهذه الخاصية شبيهة إلى حد ما بهذا المفهوم من السرد، وإن كان هو أوسع منها، واستعماله بالخصائص والإجراءات التي قررها اللسانيون مهم جدا في كشف هذا السلك الذي تنتظم به المدونات السردية، فقصص كليلة ودمنة مثلا لم تأت في ذلك الوقت إلا كإشارة إلى فساد بعض الولاة وسوء تقديرهم للأمور واستياء العامة من ذلك، فجاءت هذه القصص تلبية للرغبة في إصلاح هذا الوضع وتلافي تلك النقائص الواقعة.

5.خاتمة

في ختام هذه الدراسة نخلص إلى أن السرد العربي القديم سردٌ زاخر بفنون كثيرة ومدونات عديده تحتاج في غالبها إلى إعادة قراءة لها في ظل ما جاء من بحوث لسانية معاصرة، لا سيما تلك البحوث التي تتسم بالشمولية والعموم في الآليات والدّقة في النتائج، مثل لسانيات النص، وهذا التوظيف لهذا العلم في قراءة هذه النصوص يؤدي إلى استخلاص كثير من المعاني والدلالات التي كانت خافية طيلة قرون في ثنايا هذه الكتب وهذه المدونات.

ومثل هذا العمل قام به الأستاذ محمود شاكر حيث أعاد قراءة ديوان المتنبي بنظرة عامة شاملة، شبيهة إلى حدّ بعيد بآليات اللسانيات النصية، وخلص إلى نتائج مهمة من حياة هذا الشاعر الكبير، فمثل هذه الأعمال تثَمَّن، ويُنحى نحوها من أجل استثمار المناهج الغربية استعمالا سليما في قراءة التراث العربي بما يناسب هذا التراث، وما يتماشى وخصوصيته، فينبغي إحصاء مثل هذه الأعمال ودراستها، وضبط أصولها وقواعدها، لتكون نظرية متكاملة واضحة المعالم يسهل

تطبيقها إجرائيا، كما يسهل الحكم على هذه الدراسات الإجرائية ومدى مطابقتها لتلك القواعد والأصول.

قائمة المراجع:

- تزفيتان تودوروف، 1993 مدخل إلى الأدب العجائبي، الرباط، المملكة المغربية، مكتبة الكلام.
- ابن فارس، 1979، مقاييس اللغة، مصر، دار الفكر.
- أحمد مداس، 2009، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- جميل حمداوي، 2015، محاضرات في لسانيات النص، مصر، نشر شبكة الألوكة.
- حنان خلف الله، 26-02-2016، السرد العربي القديم الأشكال والمضامين، السرد العربي القديم النص والثقافة، جامعة برج بوعريريج، الجزائر.
- دي بوجراند، 1998، النص والخطاب والإجراء، القاهرة، مصر، دار عالم الكتب.
- زينب علي،2019، التراث السردي في الرؤية النقدية المعاصرة، محلة ديالي، العراق، ع18، ص21.
- شعيب خليفي، 1997، بنيات العجائبي في الرواية العربية، مجلة فصول، ع3.
- صبحي إبراهيم الفقي، 2000، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ضياء الكعبي، 2005، السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالات التأويل، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد الفتاح كيليطو، 1998، الحكاية والتأويل، المغرب، دار توبقال.
- علي بن محمد القاري، 1398، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- فايزة لولو، 2019، " خصائص السرد العربي القديم." حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، الجزائر، ع19، ص24.

- فوزية قفصي، 1441، العجائبي مفهومه وتجلياته في الموروث السردي العربي، مجلة تسليم، العراق، مج5، ع17-18، ص38.
- محمد الأزهري، 2001، محمد الأزهري، تهذيب اللغة، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث.
- ناصر الدين الألباني، 1995، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المعارف.
- نعمان بوقرة، 2016، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- هيثم سرحان، 2008، الأنظمة السيمائية دراسة في السرد العربي القديم، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة.